أسباب انتشار ظاهرة العنوسة

الزواج.. حلم يداعب خيال كل فتاة لتتوج ملكة على عرشها، وتمارس غريزة إنسانية أودعها الله قلب المرأة هي غريزة الأمومة.

بل لقد ثبت بالتجربة والواقع أن الزواج الموفق يعين على تفرغ الذهن، وصفاء النفس، وراحة الفكر، وأنس الضمير والخاطر، ماذا ينفع المرأة بالذات شهاداتها العليا إذا بقيت عانسًا قد فاتها ركب الزواج، وأصبحت عانسًا لم تسعد في حياتها بزوج وأولاد، يكونون لها زينة في الحياة، وذخرًا لها بعد الوفاة.

وكم من امرأة فاتها قطار الزواج، وذهبت نضارتها، وذبلت زهرتها، وغنت بعد ذلك تمزيق شهاداتها، لتسمع كلمة الأمومة على لسان وليدها، ولكن بعد فوات الأوان، وكم هي الصيحات والدموع التي أطلقت من الأمهات والمجربات، فأين نحن جميعًا من كل ذلك.

ومن المؤسف أن يصل بعض الشباب إلى سن الثلاثين أو أكثر، وهو لم يفكر بعد في موضوع الزواج، وما انفتحت أبواب الفساد إلا لما وضعت العراقيل أمام الراغبين في الزواج، بل لم ينتشر الانحلال والدعارة والعلاقات المشبوهة والسفر إلى بيئات موبوءة إلا بسبب تعقيد أمور الزواج..

ويرى البعض أن أسباب العنوسة أو تأخر سن الزواج هي:

السبب الأول: التعليم:

مما لا شك فيه أن الإسلام حث المرأة على العلم والتعليم في آيات كثيرة،

يقول المولى جل وعلا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾.

وكانت الصحابيات يأتين النبي ﷺ فيستفدن من علمه، فعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: "قالت النساء للنبي ﷺ: غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا من نفسك يومًا، فوعدهن يومًا لقيهن فوعظهن وأمرهن".

وكانت عائشة زوج النبي ﷺ لا تسمع شيئًا لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه، وإن النبي ﷺ قال: "من حوسب عذب، قالت عائشة: فقلت: أو ليس يقول الله تعالى "فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا" قالت: فقال: "إنما ذلك العرض، ولكن من نوقش الحساب يهلك".

والإسلام لا يمنع المرأة من العلم والعمل بشرط ألا يتعارض ذلك مع بيتها ودينها، ولكن الواقع خلاف ذلك فبعض الطالبات يعطين جانب التعليم والعمل اهتمامًا أكثر من الزواج، فيواصلن تعليمهن ابتداءً من المرحلة الابتدائية مرورًا بالجامعة وانتهاء بالدكتوراه، حتى يصلن إلى سن الثانية والثلاثين أو أكثر في الغالب، وفي هذا السن يعزف الخطاب عن خطبتهن، إن المرأة مهما بلغ مالها أو مال أبيها أو نسبها أو شرفها أو مكانتها لا تعرف معنى السعادة إلا مع زوج صالح طيب يسترها وتستره ويعفها وتعفه يعطيها الحنان والحب والدفء الذي لا تجده في بيت أبيها.

كما قال تعالى: ﴿ هُنَّ لِبَاسٞ لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٞ لَّهُنَّۗ ﴾.

ولذلك نجد الكثير من النساء العوانس اللاتي يفتقدن ذلك يعشن حياة مليئة بالنكد والهم والعصبية لبعدهن عن الزواج، وصدق الله إذ يقول في محكم التنزيل: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا

وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾، فعبر المولى - جل وعلا - بالسكن وهو تعبير دقيق بليغ مهم؛ لأن السكن عام، فهو سكن نفسي وقلبي وعقلي وجسدي فيه الراحة والطمأنينة والاستقرار لا يجدها الرجل في غير الزوجة الصالحة ولا تجدها المرأة في غير الزوج الصالح.

السبب الثاني: المال:

وهو سبب من أسباب العنوسة، فإن بعض الأسر إذا جاءهم شاب لخطبة ابنتهم بحثوا أولًا عن ماله، فإن كان من أصحاب الأموال والأسهم والعقارات وافقوا عليه، وإن لم يكن كذلك رفضوا وإن كان من أهل الاستقامة والدين ضاربين بوصية رسول الله ﷺ في الحث على أن يكون الدين والخلق هما معيار الاختيار، وهذا يؤدي إلى بقاء البنت في بيت أهلها من غير زواج. إن الأسر التي تمتلك هذه الأرصدة من الملايين يخافون من ذهاب هذه الأموال لبناتهم، ومن ثم إلى أبنائهن ويقولون: كيف تذهب هذه الأموال الكثيرة إليهم، ولذلك يحرصون أشد الحرص على زواج بناتهم من نفس الطبقة أو الجنس حتى لا تذهب هذه الأموال إلى من لا يرغبون في ذهابها إليهم، أقارب هؤلاء لا يتقدمون إليهم، ويتقدم غير الأقارب إليهم وبذلك تبقى البنت عانسًا في بيت أبيها ضحية للتصرفات الخاطئة الهوجاء التي لا ترضي الخالق سبحانه وتعالى فقد قال جل شأنه: ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا ۖ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ۚ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾.

السبب الثالث: العادات:

هناك بعض العادات، التي يتمسك بها كثير من الناس وهي مخالفة لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

مثل اشتراط الأب لمن يريد الزواج من ابنته أن يكون من عائلة معينة أو صاحب منصب معين. أو مثل احتكار بنت العم لولد العم من الصغر، وفي الكبر تختلف الآراء والمقاييس فيرى ابن العم أن ابنة عمه غير مناسبة له، فيتركها ويتزوج غيرها وتبقى البنت في البيت عانسة تنتظر من يخطبها. أو عدم رغبة الأب في تزويج ابنته دون سبب مقنع. أو خوف البنت من الطلاق.

والغريب أن بعض الناس يقسمون المجتمع في هذا الأمر إلى طبقات، وكل طبقة لا تتزوج إلا من نفس الفئة، فلو تزوج صاحب الفئة الأولى من الثانية شتموه وسبوه، ولو كان العكس آذوه.

السبب الرابع: قلة الجمال:

قلة الجمال عند النساء أو عدم وجوده قد يجعلهن غير مقبولات لدى كثير من الشباب الذين يشترطون مواصفات واشتراطات خاصة معتمدة من هيئة المواصفات والمقاييس (جميلة، طويلة، بيضاء، راقية، شقراء، خفيفة الدم والظل، نحيفة).

وربما لا تجد شرطًا واحدًا من هذه الشروط في الشباب الذين يشترطون ذلك، فلا جمال ولا كمال ولا بياض ولا خفة دم بل العكس تمامًا.

السبب الخامس: عمل المرأة:

فقد تكون طبيبة، أو مهندسة، أو مدرسة أو إدارية أو ممرضة، ويستولي أبوها على راتبها الشهري ويمنعها من الزواج والحب والعاطفة والأمومة السعيدة، همه المال يفكر في جمعه ويكون ثروة لا بأس بها على حساب بناته.

السبب السادس: الزواج بالترتيب:

فهو سبب قوى من أسباب العنوسة فى كثير من البيوت وهي قاعدة متأصلة فى نفوس كثير من الآباء والأمهات الذين لا يزوجون البنت الصغرى قبل الكبرى، لا بد من زواج البنت الكبرى أولًا ثم التى تليها ولا يمكن العكس لما يترتب على ذلك من الغيرة والحسد وعدم الوفاء للكبيرة.

وقد يجبر الأب خاطر الكبرى على حساب أخواتها، وقد يكون فى الكبرى بعض الموانع من الزواج مثل قلة الجمال أو عدم التمسك بالدين أو السمعة السيئة أو أن الكبرى لا ترغب فى الزواج الآن أو غير ذلك من الأسباب. وبإصرار الوالد على تزويج الكبرى تكون الضحية أخواتها بأن يدخلن فى مرحلة العنوسة بسبب أختهم الكبرى التى أصبحت حجر عثرة عليهن، وإذا نظر العاقل بعين البصيرة فإنه يعلم أن الزواج قسمة ونصيب، ولعل من أسباب تصيبها فتح المجال لأخواتها بالزواج إذا تقدم لهن الكفء.

فهناك العديد من الأسر التى رفضت زواج الصغرى قبل الكبرى وكانت النتيجة هى بقاء الشقيقتين بلا زواج بعد أن فاتهما قطار العمر.

السبب السابع: قول بعض العائلات: هذه عادتنا تأخير زواج بناتنا:

لقد شاع وانتشر عند بعض العائلات تأخير زواج بناتهم ونشأ هذا شيئًا فشيئًا حتى أصبح عندهم عادة، وربما ورثوا هذه العادة السيئة عن بعض الآباء والأجداد ثم تعارف عليها الصغار والكبار والرجال والنساء حتى أصبح الأمر عندهم طبيعى ولا يسمحون بسبب أن ابنتهم عانس أو كبيرة، وربما أنهم لم يفكروا فى زواجها أصلًا إلا إذا بلغت سبعًا وعشرين سنة أو

أكثر، وقد تكون هذه العائلة متعلمة ومثقفة وبعض أفرادها ملتزمين، ومع ذلك كله تجدهم مستسلمون لهذه العادة، مكتوفي الأيدي أمامها..

ويخشى على هؤلاء أن يكون فيهم عرق الجاهلية لتمسكهم بهذه العادة القبيحة يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ ولاشك أن من تعصب لهذه العادة وأعمى عينه وفكره عنها أنه أناني لا يعرف العدل والإنصاف... أين العدل والإنصاف من والد أو أخ إذا جاء وقت النوم ذهب إلى فراشه واستأنس مع زوجته وهذه البنت العانس المسكينة يطول عليها الليل وتطالع نجوم السماء وتتقلب على الفراش تشكو حالها إلى الله؟! العدل والإنصاف أن تجعلوا أنفسكم مكان ابنتكم العانس وتحسوا بآلامها وتحبون لها مثلما تحبونه لأنفسكم.

السبب الثامن: سوء سمعة الأسرة:

فقد يكون الوالد مشهورًا مجاهرًا ببعض الجرائم والمعاصي أو قد يكون ممن يتعاطى المخدرات والمسكرات، وقد يكون سكنه في السجن أكثر من سكنه في منزله، أو يكون أحد الأولاد مشهورًا بذلك أو بفعل الزنا، وأشد من ذلك كله أن تكون الأم تتعامل بالغدر والخيانة، معروفة بالمغازلات وكثرة الخروج من المنزل لهذا الشيء أو قد تكون الأم بذيئة اللسان سيئة الطباع معروفة بسوء الأخلاق والمعاملة مع الناس فقد تتأثر بناتها؛ لأن البنت أكثر احتكاكًا بأمها، والناس يسألون عن طباع الأم وسمعتها وأخلاقها وكيفية تربيتها لبناتها؛ ولذلك انتشر عند الناس قولهم: "قبل أن تضمها اسأل عن أمها".

السبب التاسع: رفض بعض الفتيات المعدد لزوجاته:

نرى ونسمع بعض الفتيات ترفض الزواج من المعدد لزوجاته، حتى وإن كان هذا المعدد صالحًا أمينًا خلوقًا.

قد تكون بعض الفتيات على حق في الرفض لسببين:

السبب الأول: أن بعض المعددين لزوجاتهم لا يعدلون بينهن، فهم الذين شوهوا سمعة التعدد، فنسمع أن البعض منهم يميل إلى البكر أو الجديد ويهمل الثيب أو أم الأولاد لأنها كبرت أو كثر أولادها وربما أن البعض منهم يهملها هي وأولادها حتى بدون نفقة ولا رعاية ولا مبيت، وهذا وأمثاله على خطر من التهديد والوعيد الذي أخبر به النبي ﷺ بقوله: "**من كان له امرأتان فمال إلى أحدهما وجاء يوم القيامة وشقه مائل**" وهذه فضيحة له يوم القيامة ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار... ويوصي بعض العلماء (الذين يؤيدون التعدد لحل مشكلة العنوسة) المعدد لزوجاته أن يتق الله ويعدل بينهن في المبيت والسكن والكسوة والعشرة، وأما محبة القلب فإنه لا يلام عليها لأنه لا يملكها، ولذلك فإن النبي ﷺ لما عدل بين زوجاته في المبيت والسكن والكسوة والعشرة قال عليه الصلاة والسلام: "**اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك**".

ويجب على الفتاة أن تحسن الاختيار بأن يكون الزوج المعدد المتقدم لها صالحًا أمينًا ذا خلق رفيع يخاف الله ويراقب الله عز وجل قبل أن يراقب زوجاته ويخاف من عقوبة الله في الظلم وعدم العدل بينهن.

أما إذا ابتليت بزوج: لا يعدل فعليها أن تكثر من نصيحته وتخويفه من الله وتهدي إليه الأشرطة والكتيبات التي تساعده على العدل وترسل له من

أقاربها من ينصحه بذلك، وبالمقابل عليها أن تحسن عشرته وتتلطف معه وتحسن استقباله وتتجمل له وتعامله باللين والحكمة وسعة الصدر فإن هذه المعاملة الحسنة سوف تغير زوجها وتجذبه لها عن قريب.. والأفضل من ذلك كله.. ترك المتزوج لزوجته وأولاده حفاظًا على سعادة وأمان واستقرار الآخرين.

السبب الثاني: أن بعض الممثلين والممثلات يظهرون تعدد الزوجات بأنه جريمة كبرى وظلم للزوجة الأولى حتى يشوهوه عند الفتيات والنساء، حتى أننا سمعنا وقرأنا في بعض الصحف والمجلات من يحارب تعدد الزوجات، وربما سمحوا للزوج بالحبيبة والصديقة والعشيقة ولا يسمحون له بالزواج من ثانية أو ثالثة، بل يحاكمونه إذا عدد زوجاته (وهذا في بعض البلاد.. إلا أنه على الزوج أن يتقي الله في زوجته وأولاده ويرضى ويصبر على ما أنعم الله عليه من نعمه.. حيث إنه طالما يفكر في الزواج بأخرى فلن يرى أو يشعر بهذه النعم (عين الرضا عن كل عيب كليلة وعين السخط تلتقط المصائب) حقيقة أن الله أباحه وأنزله في كتابه فقال سبحانه وتعالى ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾... الآية.

إلا أن هذا المباح قد حدد له الله ورسوله شروطًا لا يستطيع عليها كل زوج يفكر في التعدد.. ولن يجني من وراء ذلك سوى عدم استقرار وأمان أسرته وأولاده.

وهناك من العلماء من صنف أسباب العنوسة على النحو التالي:

١- أسباب اجتماعية.

٢- أسباب اقتصادية.

٣- أسباب سياسية.

٤- أسباب تربوية.

٥- أسباب ثقافية وفكرية.

أولاً: الأسباب الاجتماعية:

تتمثل في:

- غياب المفهوم الصحيح للزواج كسكن ومودة ورحمة.. قبل أن يكون شكليات ومظاهر.
- غياب دور الأسرة في توعية أبنائها، وتربيتهم على تحمل المسئولية، وتفهم معنى الزواج، وإعداد أبنائها وبناتها للقيام بهذا الدور.
- ضعف دور المؤسسات الاجتماعية والهيئات غير الحكومية في محاولة إيجاد حلول عملية واقعية تتناسب مع كل بيئة ومجتمع في مجتمعاتنا.
- الاستسلام والانسياق وراء ما يبثه الإعلام من مفاهيم مغلوطة عن الأسرة والزواج ومتطلباته.

ثانيًا: الأسباب الاقتصادية:

وهي نوعان:

- واقعي وحقيقي: يتمثل في الارتفاع الفعلي في تكاليف الزواج خاصة مع ازدياد معدلات البطالة، وعدم وجود فرص عمل حقيقية أمام الشباب، وانخفاض مستوى الدخل خاصة في الدول النامية.
- نوع صنعناه نحن بأنفسنا، ثم فرضناه كأمر واقع.. وهو المغالاة في

المهور واستعدادات الزواج؛ حيث غابت فكرة الأسرة التي تبدأ بحياة بسيطة، ثم تنمو تدريجيًا، وتستكمل كل ما ينقص من أساسيات وكماليات مع النمو الطبيعي لدخل الأسرة، ومع مفهوم جميل غاب عنا، وهو الصبر واليقين بالله تعالى، وحل محلها مفهوم جديد، وهو البيت الذي يبدأ مستكملًا كل أساسيات وكماليات الحياة العصرية، والغريب أن هذا النوع من المشاكل الاقتصادية يكاد يكون ممثلًا بدرجة متساوية في الدول الغنية والدول الفقيرة، وكأننا لم نسمع عن مثل شعبي حكيم يقول: "على قدر لحافك مد رجليك".

ثالثًا: أسباب سياسية:

- إن القيادات السياسية في كثير من البلدان لم تأخذ الأمر بجدية، ولم تشعر بحجم المشكلة أو تأثيرها السلبي على المجتمع، وربما توارت المشكلة خلف الكثير من المشاكل السياسية الأخرى، وهذا أدى إلى غياب دور أساسي كانت الدولة منوطة به، ويشمل توفير فرص عمل حقيقية للشباب، وتيسير المشروعات الصغيرة، وتشجيع الشباب المقبل على الزواج المبكر بشقة بأسعار مناسبة ومشاريع توفر لهم احتياجاتهم في حدود طاقاتهم.
- غاب دور الدولة في تشجيع الزواج المبكر والدفع في هذا الاتجاه إلا في بعض الدول التي استشعرت خطورة الأزمة، مثل: الإمارات والكويت؛ وذلك بإنشاء صندوق الزواج. أما بقية الدول فبالعكس أحيانًا يكون هناك اتجاه لرفع سن الزواج. (وهنا لا نقصد زواج الأطفال والقاصرات فهذا مرفوض).

- إن ما وصل إليه حالنا من غياب للقيمة والهدف من حياتنا وحالة الإحباط العامة التي تسود البلاد العربية جميعًا والخوف دائمًا مما سيحدث غدًا لا بد أن يكون سببًا غير مباشر في عزوف الشباب عن الزواج، وعدم تحمسهم لبدء حياة جديدة كلها أمل وتفاؤل.

رابعًا: أسباب تربوية:

حيث إن الدراسة بالمدارس تجعل الفتى والفتاة حتى دخول الجامعة ليس لهم هم إلا النجاح والحصول على أعلى الدرجات، ثم فجأة يجدون أنفسهم في مواجهة الحياة، وقد خلت كل المناهج الدراسية مما يساعد الفتاة على أن تكون زوجة وأمًا وربة أسرة، لم يحدثها أحد عن معنى الزواج وتبعاته، وكذلك الفتى لم يتعلم معنى المسؤولية، ومعنى أن يكون رب أسرة، ومعنى الرجولة.. حتى معنى السعي وتكسب الرزق الحلال غاب عن كثير من شبابنا.

خامسًا: أسباب ثقافية وفكرية:

حيث إن كل ما يساهم في بناء وصياغة فكر وعقل المجتمع إما تجاهل المشكلة تمامًا، أو على العكس كان سببًا في تفاقمها، سواء كانت وسائل الإعلام خاصة التليفزيون والصحف والمجلات أو الكتاب والمفكرين، أو كما ذكرنا طريقة التربية في المدارس وفي داخل الأسرة نفسها. رجال الدين والفقهاء..

سادسًا: أسباب نفسية:

وهذه جاءت نتيجة لتفاعل كل الأسباب السابقة.. فمنذ سنوات كثيرة ماضية كانت كل الأفلام - التي كما هي عامل مؤثر في ثقافة الشعوب هي

أيضًا نافذة تعبر عما يجرى داخل هذه المجتمع ـ تعبر عن قصص النجاح والحب الذى يتحدى العقبات وينتصر، الشاب والفتاة اللذين يحلمان بأن يبدآ حياتهم بأبسط الإمكانات ليكبرا مع الأيام. أما اليوم فالكثير من أبناء هذا الجيل منهزم من داخله لم يحاول أن يتحدى العقبات ويهزمها، ولكنه هرب من المواجهة؛ فالخوف من المستقبل وعدم تحمل المسؤولية والتمسك بل التقيد بكل أسباب الرفاهية والكماليات..

بالإضافة إلى ما سبق هناك بعض الأسباب نذكرها بإيجاز:-

- بقاء المرأة فى نفس المدينة التى نشأت فيها وترعرعت، فبعض النساء لا يردن الزوج إلا من نفس المدينة.
- ممارسه الحرام فقد تقع المرأة الشابة فريسة رجل مجرم لا يتقى الله فيها، فيصرف عنها فرص الزواج والخُطَّاب لسوء خلقها وفعلها.
- الفقر فقد تكون الأسرة فقيرة وتعمل إحدى بناتها عملًا مضاعفًا للنفقه عليهم، وترفض الخُطاب حتى يستطيع إخوانها وأخواتها أن يكملوا دراستهم، وأن يقفوا معها فى مساعدة الأسرة.
- هجرة الكثير من الشباب خارج بلادهم بحثًا عن الرزق وفرص العمل، ومن ثم الزواج بأجنبيات للحصول على الإقامة والاستقرار فى هذه الدول.
- تردد الفتيات فى اختيار أول من يطرق بابها اعتقادًا منها من أن الأفضل قد يكون العريس المقبل.
- ضعف شبكة العلاقات الأسرية والاجتماعية: وهذا العامل يبدو مهمًا فى المدن الكبيرة حيث تسود حالة من العزلة والانكماش وتقل

أو تضعف العلاقات الأسرية والاجتماعية، وهذا يجعل مسألة التعارف صعبة، ويجعل الكثير من الفتيات يعشن في الظل ويصبحن منسيات.

- انعدام الثقة: بمعنى أنه حين ابتعد الناس عن بعضهم وازدادت غربتهم خاصة في المدن الكبيرة والمزدحمة، وشيوع العلاقات العاطفية والجنسية خارج إطار الزواج أدى إلى انعدام الثقة لدى كثير من الشباب والفتيات في الحصول على شريك حياة مناسب، خاصة لدى هؤلاء الذين تورطوا في مثل تلك العلاقات وأصبح لديهم قناعة بأنه لا توجد فتاة عفيفة ولا يوجد فتى مستقيم.
- إتاحة العلاقات العاطفية والجنسية خارج إطار الزواج: وذلك مما يجعل نسبة غير قليلة من الشباب يستسهل الحصول على الإشباع العاطفي، وربما الجنسي دون مسئوليات أو أعباء، وهذا هو العامل الأهم في المجتمعات الغربية، ولكنه بدأ يزحف على مجتمعاتنا العربية نظرًا للتغيرات الاجتماعية والثقافية التي سهلت وتساهلت مع العلاقات بين الجنسين بدون ضوابط كافية.
- اهتزاز صفات الرجولة والأنوثة: فقد تميعت صفات الرجولة لدى الذكور مما جعل كثيرًا من الفتيات ينظرن حولهن فلا يجدن رجلًا بمعنى الكلمة يوفر لهن الحب والرعاية والاحتواء فيفضلن العيش وحدهن بعيدًا عن التورط مع زوج يعيش عالة عليها أو يطمع في مالها أو يقهرها، كما اكتسبت الكثير من الفتيات بعض صفات الخشونة و"الاسترجال" مما جعل الشباب من الذكور ينظرون

إليهن بتوجس وحذر ويخشى أن تستقوى عليه أو تنازعه القيادة فى الحياة الأسرية، فلم تعد الأنوثة مرادفة للرقة والحنان فى كل الفتيات خاصة من تجاوزن سن الزواج.

- عوامل شخصية: حيث توجد بعض الشخصيات التى تفضل حياة العنوسة بوعى أو بغير وعى على الرغم مما تتمتع به من الجمال والجاذبية، وعلى الرغم من توافر فرص الزواج أكثر من مرة، فالفتاة فى هذه الحالة ترفض لأسباب ظاهرية كل من يتقدمون لخطبتها وتدّعى أنه لم يأت النصيب بعد أو لم يأت العريس المناسب، وفى الحقيقة هى لديها أسبابها النفسية التى ربما تعلمها أو لا تعلمها، وهذه الأسباب تكون هى الدافع الرئيسى لرفض الزواج أو تأجيله، وهذه الشخصيات إذا تم زواجها بضغط من الأسرة أو من المجتمع فإنها سرعان ما تسعى نحو الانفصال والعودة إلى حياة الوحدة مرة أخرى متعللة بأى مشكلات ظاهرية.

وهناك من العلماء من عرض أسباب العنوسة كما يلى:

أسباب نفسية:

- التعزوف عن الجنس الآخر: نتيجة لأفكار مشوهة وسلبية عنه، ناتجة عن قراءات أو مشاهدات سابقة.
- ترى بعض الفتيات أن الرجل خائنٌ أو قاسيًا أو أنانيًا أو ظالمًا وغير ذلك من الصفات السيئة الأخرى.
- كراهية الجنس: نتيجة التزمت الزائد وربط الجنس بسوء الخلق أو الرذيلة، أو نتيجة جهل وسوء فهم بالنواحى الجنسية، والخوف من تبعات الزواج من حمل وولادة وإرضاع.

- الخوف من الزواج: نتيجة تأثيرات ورواسب سابقة (للوالدين، الأم، الأخوات، قريبات، صديقات، جارات... إلخ) كانت الزوجة فيها رمزًا للذل والعبودية والاضطهاد، وكان الزواج رمزًا للتعاسة والشقاء مما ألقى بظلال قاتمة على الحياة الزوجية كلها.
- الانطوائية والانعزالية: وأسبابها كثيرة ومتعددة.

التشديد في مواصفات الزوج:

المبالغة في الشروط والطلبات بالنسبة لمواصفات الشاب المتقدم للزواج (غني، ابن عائلة، متعلم، وسيم، اجتماعي، رومانسي، متدين، وظيفة مرموقة... إلخ) فترفض الفتاة كل من يتقدم لها، وكلما كثر الخاطبون ازدادت دلالًا وتعززًا وتشددًا في شروطها المثالية، حتى تصحو وقد تقدم بها العمر وعزف عنها الخطاب.

أسباب أخرى:

- عدم حصول النصيب: فيتقدم للفتاة أشخاص غير مناسبين لها فترفضهم لأسباب وجيهة ومنطقية، ويشاء الله أن لا يتقدم غيرهم.
- الانحراف والشذوذ الجنسي: مثل وجود علاقة (مثلية) مع الجنس نفسه، أو التهرب من الزواج خشية افتضاح أمرها وماضيها المنحرف.

عيوب في مواصفات الفتاة:

- تدني مستوى الجمال: فتكون الفتاة غير جميلة أو غامقة اللون أو لا تتمتع بمقاييس الجمال التي يبحث عنها فتيان هذا الجيل.

- عيوب جسمية: كأن يكون بها تشوهات أو إعاقة ناتجة عن مرض وراثي أو حدث تعرضت له.

عيوب صحية:

- كأن تكون مصابة بمرض مزمن، عضوي (كالقلب أو السكر أو فقر الدم أو خلل في الهرمونات) أو مرض نفسي (كانفصام الشخصية أو الصرع أو غيره).

تفكك الأسرة:

يؤدي التفكك إلى انهيار الوحدة الأسرية وانحلال بناء الأدوار الاجتماعية المرتبطة بها وكونها من أسرة مفككة أو من عائلة مطلقة اشتهرت بكثرة مشاكل أفرادها فيما بينهم.

جمع الثروة.. توفير المال لاستثماره في مشروع معين.

التعلق بموعد الزواج.. سواء من قريب للأسرة أو من أحدهم، ثم تفاجأ بزواجه من أخرى.

الخطوبة الطويلة.. والتي يعقبها فسخ وانفصال.

الفشل في قصة حب.. عاشت خلالها تجربة عاطفية حميمة، ثم حصل انفصال نتيجة حادث عارض أو أسباب قاهرة أبقت الذكرى عالقة في القلوب.

الحب الشديد لأحد الوالدين.. أو لكليهما لدرجة الاعتقاد بأن مفارقتهما هي عقوق لهما، وهذا نوع من التعقيد النفسي مما يبعث على الارتباط اللصيق بهما والتعلق بالعيش معهما خصوصًا إذا كانت من أسرة عز وغنى.

ومن الأسباب النفسية التي تجعل الفتاة تعزف عن الزواج، وبالتالي تصبح عانسًا (كما ذكرت في بعض المراجع) ما يلي:-

- تأثير الصديقات عليها بما يدور حول المقارنات بين الشباب وتلك المميزات والصفات التي يرغبن بها.
- تأثير التعليقات والانتقادات التي تدور بين الفتيات حول الشباب سواء كان بشكل عام أو تجاه خطيب معين.
- غرور الفتاة بجمالها إن كانت جميلة مما يجعلها متكبرة ومغرورة بحيث لا يتقرب منها من كان طالب الزواج خوفًا من المشاكل.
- خجل الفتاة وتفكيرها بأنها غير جديرة بالزواج بسبب تفكيرها بأن المناطق الجنسية لديها لاعتقادها بأنها غير طبيعية أو أنها فقدت بكارتها من جراء ممارسة معينة كالعادة السرية مثلًا وغيرها.
- أثر ما تراه في مراحل الطفولة من علاقات جنسية زوجية بين والديها أو المقربين إليها وبذلك تتكون لديها صدمة نفسية تجاه الزواج.

أسباب العنوسة القصرية أو القهرية:

هنالك العديد من أسباب العنوسة القصرية التي غالبًا ما يكون سببها الأهل والمجتمع وضحيتها الفتاة، ومنها:

١ - **الأب:**

ويعتبر الأب هو العنصر الأساسي، والمعوق الأول أمام زواج الفتاة، **وذلك لبعض العوامل الآتية:**

أ ـ أنانية الأب: وذلك لحرصه على نسب يفخر به هو أمام الناس،

ليضمن عدم تعيير الناس له. أو رغبته في مهر مرتفع حتى يقال دفع في بنت فلان كذا وكذا.

ب ـ **طمعه:** وذلك أن في بعض البلاد تعمل الفتاة وتتقاضى راتبًا مرتفعًا، فيحرص الأب على أن لا يستفيد منه أحد غيره، فيماطل في زواج ابنته باشتراط شروط يعجز عنها الرجل. وهنالك قصة عن "فتاة عضلها والدها عن الزواج للاستحواذ على مرتبها الشهري، فساءت حالتها الصحية فهزلت، وقبل أن تسلم الروح قالت لوالدها القابع بجوار فراشها قل آمين يا أبي، فقال: آمين فقالت له: حرمك الله من رائحة الجنة كما حرمتني من الزواج، ثم أسلمت الروح".

ج ـ **الخوف الجاهل:** فكثير من الآباء لشدة محبتهم لبناتهم فيتأنى تأنيًا باردًا في اختيار زوج ابنته، فيتردد كثيرًا في الاختيار، حتى يتقدم العمر بالفتاة ويقل الخطاب، وتعاني الفتاة من الاضطرابات النفسية.

٢ - الأم:

أ ـ هي في كثير من المجتمعات تقوم بدور الأب.

ب ـ إن كثيرًا من الأمهات من الخوف على بناتهن من البقاء بلا زواج يتعمدن إطلاق الحرية لهن في الخروج من البيت متبرجات بحجة أنهن ربما يجدن من يتزوجهن، وهذا من البلاء المبين؛ لأن كثيرًا من هذه العلاقات المحرمة تنتهي إما بالفشل لأن الشاب لا يحب أن تكون هذه التي تركت نفسها له أمًا لأولاده. وإما أن تنتهي بفضيحة تبقى البنت على أثرها العمر كله، هذا إذا لم يحدث أن انتحرت أو قتلها أهلها (كما يحدث في الريف أو الصعيد).

ج ـ يحاول الأهل أن يجعلوا ابنتهم وسيلة للمفاخرة والمتاجرة للحديث في مجالس الآباء والأمهات عن ضخامة المهر دون التفكير في عواقب ذلك. كل هذا تعمله الأم. والضحية هي البنت في كل الأحوال.

٣ - عضل الأولياء للمرأة وعدم تزويجها مع تقدم الكفء لها ورضاها به :

وهذا محرم نهى الشرع عنه، قال تعالى: ﴿ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ﴾.. ويقصد بعضل المرأة، أي: منعها من الزواج بما هو كفء لها.

والرسول ﷺ يقول: "إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه، إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد عريض" أخرجه الترمذي وابن ماجه والحاكم بسند صحيح.

ولقد وصل ببعض الأولياء الجشع والطمع إلى أن يعرض ابنته سلعة للمساومة وتجارة للمزايدة والعياذ بالله، وما درى هؤلاء المساكين أن هذا عضل وظلم وخيانة، وقد تكون طبيبة أو مدرّسة وموظفة فيطمع في مرتبها، ألم يعلم هؤلاء بالاعترافات والقصص الواقعية لضحايا هذه الظاهرة؟!

٤ - المال:

ويتضمن المال أربعة عناصر:

العنصر الأول: البيت: أن تكون كلفة بيت الزوجية غالية جدًا ويستمر الرجل بعد زواجه بسنوات وهو يسدد تكاليف الزواج.

العنصر الثاني: ويتضمن خاتم الخطوبة، والشبكة: أما خاتم الخطوبة فليس له أصل في الشرع، وكان لمجرد الهدية فلا بأس لقوله ﷺ: "تهادوا

تحابوا"، وإننا كثيرًا ما نسمع هذه الأيام عن أسعار خيالية لخاتم الخطبة والشبكة قد تصل إلى عشرات الآلاف، وهذا مخالف لقوله ﷺ: "**التمس ولو خاتمًا من حديد**".

العنصر الثالث: غلاء المهور: من الناس اليوم مَنْ انحرفوا عن الإسلام الصحيح وأصبحوا ينظرون إلى تزويج بناتهم نظرة مادية، وقد روى ابن حبان في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "**إن من خير النساء أيسرهن صداقًا**". كان سعيد بن المسيب رضي الله عنه كبير علماء عصر التابعين اقتدى برسول الله ﷺ في اختيار الكفء دون أن ينظر إلى الجاه والمال، فالذي اختاره ليكون زوجًا لابنته (وهو عبد الله بن أبي وداعة) طالب العلم الفقير!!

وغلاء المهور جعل الزواج يتعسر أو يتعذر على كثير من الشباب، فيتأخر الزواج لذلك وهذا خلاف ما شرعه الله من تخفيف المهور وقد تزوجت امرأة بنعلين فأجاز النبي ﷺ نكاحها، وقال لرجل: "**التمس ولو خاتمًا من حديد**" فالتمس فلم يجد شيئًا فقال النبي ﷺ "**هل معك شيء من القرآن**" قال: نعم، سورة كذا وكذا، فقال النبي ﷺ: "**زوجتكها بما معك من القرآن**".

ولا يخفى ما في المغالاة في المهور من سد باب الزواج على الراغبين فيه. وقد هم عمر أن يضع للمهور حدًا يلزم الناس بالوقوف عنده حينما رأى مغالاتهم فيها، وخاف مغبة ذلك، فنهى أن يزاد في الصداق على أربعمائة درهم، ولكنه رجع عن ذلك - رُوي أنه قال على المنبر: لا تزيدوا في مهور النساء على أربعين أوقية (يعني من الفضة)، فمن زاد أوقية جعلت الزيادة في بيت المال، ثم نزل فقالت له امرأة من قريش: ليس ذلك إليك يا عمر.

فقال: ولِمْ؟ قالت: لأن الله تعالى يقول: ﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْـًٔا ﴾. فقال عمر: اللهم عفوًا، كل الناس أفقه من عمر. ثم رجع إلى المنبر وقال: "إني كنت نهيتكم أن تزيدوا في صدقات النساء على أربعمائة درهم، فمن شاء فليعط من ماله ما أحب.

هل هناك شروط لجواز إكثار المهر بدون كراهة؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: من الأشياء المكروهة جعل الصداق دينًا سواء كان مؤخر الوفاء (الصداق)، أو كان مؤجلًا لكان متجهًا لحديث الواهبة. قال: (والصداق المقدم إذا كثر وهو قادر على ذلك غير مكروه إلا أن يقترن بذلك ما يوجب الكراهة من معنى المباهاة ونحو ذلك، فأما إذا كان عاجزًا عن ذلك أصبح مكروهًا).

ومن هذه الأقوال يستفاد أنه يجوز الإكثار بدون كراهة بالشروط التالية:-

١- أن لا يكون الصداق كله دينًا.

٢ أن يكون الصداق كله من الحلال.

٣- أن لا يقصد الشخص بالإكثار المباهاة.

٤- القدرة ويسر الحال.

٥- أن لا يكون الطريق الذي يتوصل بها إلى المهر محرمة.

إذن المهر في الزواج وسيلة لا غاية، وإن المغالاة فيه لها آثار سيئة على الأفراد والمجتمعات لا تخفى على العقلاء؛ من تعطيل الزواج، أو الزواج من مجتمعات أخرى مخالفة للمجتمعات المحافظة، مما له عواقب وخيمة، قرب لذة ساعة تعقبها حسرات إلى قيام الساعة.

العنصر الرابع: الدخل الشهري: لقد كثرت البطالة، وهذا عائق من العوائق الكبيرة في زواج الشباب:

أ ـ أغلب أولياء الفتيات غالبًا ما يسأل عن وظيفة الشاب، فإن لم تكن عملًا حكوميًا يرفض زواجه حتى لو كان عملًا حرًا، بحجة أنه ليس مضمونًا، وهذا من الجهل بالدين؛ لأن الأرزاق بيد الله سبحانه وتعالى.

ب ـ البطالة المطلقة تجعل اليأس يدب في صدور الشباب من الزواج لعجزه عن الإنفاق؛ فيؤدي ذلك إلى انحراف الكثير وانتشار العوانس.

٥ - **العائلة والبلد:**

إن كثيرًا من أهل الفتيات ينظرون إلى عائلة الشاب المتقدم لابنتهم فلا بُدَّ أن يكون من نفس طبقتهم أو أعلى منها.

٦ - **المستوى العلمي:**

إن كثيرًا من الشباب الجامعي من يرفض الزواج بغير الجامعية بحجة واهية وهي المستوى الفكري!! حتى لو كانت الفتاة صاحبة دين وخلق وعائلة.

٧ - **الفتاة:**

وهذا من العجيب في الأمر أن تكون صاحبة المشكلة هي السبب في المشكلة!!

أ ـ في ظل المدنية الحديثة والانفتاح على العالم ساءت أخلاق الكثير من الفتيات، وأقامت الفتاة العلاقات الغرامية مع الشباب، وحتى كثير من الربيبات وقعن في نفس الخطأ، وهذا بالطبع يثير اشمئزاز الشباب فلا يقبل الزواج من مثل هؤلاء الفتيات.

ب ـ تستهتر كثير من الفتيات بالعادات والقيم، فتقلد الغرب في طريقة اللباس والمشي حتى لو أدى ذلك للاشمئزاز منهن، فيؤدي ذلك إلى استهتار الشباب بهؤلاء الفتيات.

جـ ـ لا تستطيع الفتاة أن تعرض نفسها على الرجل الصالح ليتزوجها؛ لأن هذا صار عيبًا في عرفنا.

٨ - المجتمع:

والمقصود بالمجتمع هنا هم الناس المحيطين بالفتاة والشاب:

أ ـ تجد الكثير من الناس من يحقد على جيرانه فيسوء سيرة بناته أمام الغير لمن يفكر بالزواج منهن.

ب ـ الناس يسمعون للغيبة ويعملون بها، ولا يسمعون بعدها للحقيقة ولو كانت الفتاة من أفضل الناس.

ج ـ المجتمع ليس متعاونًا في حل مشكلة العنوسة عند الفتيات، فمن زوج ابنته من فقير أو ليس من عائلة عيروه، وكذلك من زوج ابنته من متزوج آذوه بالحرب وأنه يرمي بابنته.

٩ - وسائل الإعلام:

أ ـ محاربة وسائل الإعلام لتعدد الزوجات عن طريق المسلسلات والأفلام، بذكر مساوئ التعدد.. (وهذا صحيح في أغلب الأحوال).

ب ـ إهمال وسائل الإعلام لمسألة العنوسة وعدم التطرق إليها بشكل جدي ومفيد.

ج ـ كثرة البرامج عن المرأة وحرية المرأة ومشاكل المرأة، ولكنها برامج القصد منها هو تأثير على المجتمع والقيم وإغراقها فى كثير من المشاكل كهذه المشكلة، فتتعالى المرأة على الرجل.

١٠ - خطط الأعداء:

أعداء الإسلام منذ بعثة الرسول ﷺ وهم لا يفترون بالطعن فى هذا الدين بالتحريف والتكذيب والافتراء. فعندما علموا تماسك الأسرة المسلمة سعوا لتفكيك هذه الأسرة، وذلك بإخراج المرأة عن تقاليدها التى تحفظها من الانحراف، فحاربوا الزواج المبكر للبنت وجعلوا السن المناسب فوق العشرين، فزادت العنوسة ـ كما ذكرنا سلفًا بالتفصيل.

١١ - الحروب:

لا شك أن الحرب لها دور فعال فى زيادة عدد الأرامل. ويكثر عدد الفتيات بسبب ضياع الشباب فى الحروب، وهذا يشكل ارتفاع فى عدد العوانس.

وهناك بعض فتيات يفضلن العنوسة على الزواج للأسباب التالية:

- فتيات نشأن فى بيئة عائلية تملؤها الكراهية والحقد والبغضاء بين الأب والأم.. فأصبحن ينكوين بالصراع الدائر ويؤثر هذا على نفسياتهن وشخصياتهن مما يولد لدى البعض منهن كراهية فكرة الزواج.
- فتاة تشاهد كيف أن والدها يخون والدتها... وتشاهد كيف أن زوج أختها يخون أختها ويوجد البعض ممن خرج عن الدين والأخلاق، فمنهم من يحاول التحرش بأخوات زوجاتهم بالإضافة إلى أمور أخرى أشد وأصعب!!

- هناك من تزوجت رجلًا كثير الشك (شكاك) فى كل شىء حتى فى (أمه) مما يجعل حياتها جحيم... وهناك الرجل البخيل... والرجل الذى يتعاطى المخدرات ومدمن القمار والخمر و... و... إلخ.
- هناك الشاب الذى لم يترك فتاة إلا (وفتك بها) والمحرمات إلا وما قصر بها وعند الزواج يريد بنتًا ملتزمة ليكمل المشوار معها (فى شو بالضبط؟) ونسمع عن كثير من الفتيات ممن أدمنّ الخمر والمخدرات بسبب أزواجهن، وكم من فتاة رجعت إلى أهلها وجسدها (طفاية) لبقايا سجائر زوجها وآخر الذى زين جسدها بآثار الضرب والتعذيب.... وهناك فتيات شاهدن هذه الجرائم، فماذا يكون رد الفعل لديهن؟!؟!

وجه آخر لأزمة العنوسة على لسان فتاة فى منتصف الثلاثينيات من العمر:-

ماذا حدث؟

ترددت كثيرًا لكى أحكى لك قصتى.. ولكن قررت فى النهاية أن أسردها بكل تفاصيلها.

.. أنا فتاة فى منتصف الثلاثينيات من عمرى لم أتزوج بعد، من أسرة ميسورة الحال متعلمة من أصل طيب، وكنت دائمًا الطالبة الذكية المتفوقة الملتزمة الجميلة محط أنظار الجميع، غير أنى كنت أهوى الرسم والعزف وقراءة الأشعار.. مما أضاف لشخصيتى الهدوء والرقة والرومانسية الخالة كما يصفنى الجميع.. لذا عاهدت نفسى أن أتزوج ممن أحب.. ولأنى

متفوقة فقد كرست وقتي للدراسة بإحدى كليات القمة، ولم أعبأ بأي علاقات. وفي أواخر فترة الامتياز تقرب إليَّ زميل يكبرني بعامين ليعبر عن إعجابه ورغبته في الارتباط بي.؟. وسعدت لطلبه وحضر لمقابلة أهلي واعتذر لعدم مجيء والده لمرضه وعلمت بعدها أن والده رفض أن يساعده في الزواج قبل أن ينهي الماجستير ويعتمد على نفسه، لذا اختفى وترك الأمر لصديقه يشرح لي ذلك. فقررت أن أتزوج بالطريقة التقليدية وأن أطيع رغبة أهلي.. ووافقت على أحد المتقدمين من يقرب لي سنًّا ومقبول الشكل وتوكلت على الله وقررت أن أفرح بالشبكة وفستان الخطبة ككل البنات.. وصدمت بشخصية خطيبي الجافة والتي تؤمن أن تدليل الرجل لحبيبته أو زوجته ضعف، وأن كلام الغزل والإطراء نوع من النفاق لا يجوز.. وزاد حدة عندما ذهب لعمل عمرة رمضان وعاد متشددًا وبدأ استياؤه من عدم انتظامي في القيام والتراويح وأنني أختم القرآن مرة فقط، وأنه يجب أن أقاطع التليفزيون والأغاني؛ لأن هذا وصمة عار للفتاة المحجبة المسلمة.. فبكيت وطلبت فسخ الخطبة وعدت لعهدي ورفضي لزواج الصالونات.. وانشغلت بعملي وأنهيت الماجستير إلى أن تقدم إليَّ زميل من أيام الجامعة الذي صارحني أنه يحبني منذ زمن، وكان ينتظر الوقت المناسب داعيًا الله أن أكون من نصيبه، فطرت فرحًا بهذا العاشق وتمت الخطبة واستعددت للزواج وإجراءات انتقالي إلى مكان عمله خارج القاهرة، ولكن والدته كانت مستاءة مني ودائمًا توبخه؛ لأنه يفرط في تدليلي وغزلي ويتفانى في إظهار مشاعره نحوي، ولكن قبل عقد قراني بأيام افتعلت والدته مشكلة لتطلب تأجيل الزفاف، وحاول والدي التفاهم معها ولكن فوجئت بخطيبي يعلن عدم رغبته في إتمام الزواج.. وقررت بعدها أن أؤجل فكرة

الارتباط وعملت بعدة مستشفيات بالقاهرة، وكنت قد بلغت الثلاثين من عمري.. وكلفت العائلة وإخوتي وصديقاتي الجهود للبحث عن زوج أميل إليه ويميل إليّ.. ومرت سنة تلو الأخرى وبمختلف الطرق المتعارفة من المعارف والأقارب ومن العمل والخاطبة وإعلانات الزواج وأخيرًا مواقع الزواج الإسلامية على النت لأراجه كمّ من الرجال من أسر طيبة قادرين ماديًا وعلى قدر من التدين والأخلاق ولكن غير جادين في الزواج، منهم من يخاف الطلاق، ومنهم من يفضل عيشة الحرية، ومنهم من يفضل التيه والتمسح عن المسئولية.. إليك نماذج منها - وأنا على يقين أنها ليست جديدة على مسامع القراء:

- معيد في الجامعة متدين من عائلة ميسورة تقدم وقابل والدي ثم بدأ يؤجل الخطبة بحجة البحث عن مسكن أكبر، ويمر شهران دون تقدم سوى لقاءاته المتكررة بهدف البحث عن مسكن لائق مما أدى إلى استياء والدي وارتيابي في جدية هذا الشاب، فسألته عن السبب فاعترف لي بسر خطير بأني لن أكون الزوجة الأولى وأنه تزوج كثيرًا من فئة التمريض وزميلات مطلقات زواجًا عرفيًا وسريًا ولم تدم هذه الزيجات أكثر من ٣ أشهر.. وأنه يماطل خوفًا من تغير مشاعره نحوي ولا يريد أن يظلمني معه.

- وهناك من يعيشون في البلاد العربية أو الأوروبية، منهم من ينزل مصر للبحث عن شريكة الحياة فيتقدم لأكثر من واحدة في آنٍ واحد ويبقى الباب موارباً مع الجميع مع تعبيره بالإعجاب والرغبة الجادة للزواج، ولكن الإجازة والمدة غير كافية مع وعد بأنه في الإجازة القادمة سيحضر لإتمام الزواج ويختفي ويغلق هاتفه أو لا يرد دون أسباب.

- وفى العمل منهم من يتقرب لى وعندما يعرف سنى يبعد أو يقول لو كنت أصغر كنت إتجوزتك على طول.

مما جعلنى أتوقف وأتساءل ماذا حدث لشباب ما فوق الثلاثين؟ لم يهابون الزواج، لماذا يخللون اخرام ويهربون من اخلال؟ لم يفضلون الدش والعلاقات غير السوية ومواقع الجنس والشاشات عن الزواج؟ لماذا يدفعون اشتراكات ومبالغ نقدية لمكاتب الزواج والخاطبة ومواقع النت بهدف البحث عن زوجة ولا يتزوجون. إن الرجال فى المجتمعات الغربية المنفتحة وليست الإسلامية يتزوجون لإقامة عائلة رغم أن الطلاق هناك مكلف جدًا، ولكنهم لا يهابون الزواج؟ وعجبت أكثر لقراءتى أن نسبة العنوسة بين الرجال فى مصر أصبحت أعلى منها للفتيات.. وأن الفقراء الذين لا يمتلكون الباءة يتزوجون بالتقسيط والسلف بهدف الاستقرار والعفة.. فى حين أن فئة الميسورين أو من يستطيعون الباءة لا يتزوجون؟

تم عرض المشكلة بتفاصيلها كما عرضت فى جريدة الأهرام - بريد الجمعة ٤/ ١/ ٢٠٠٨م.

تشخيص أزمة العنوسة من وجهة نظر أم البنات التى تشغل مركزًا مرموقًا:

- أنا زوجة وأم لفتاتين تدرسان فى الجامعة، نحن أسرة راقية اجتماعيًا وماديًا، فأنا ووالدهما نشغل مناصب مرموقة، والفتاتان تدرسان فى كليتين من كليات القمة، وهما على درجة عالية من الجمال والأناقة والرقى.

منذ بضع سنوات فقط بدأ الخاطبون يأتون إلينا عن طريق المعارف والأقارب، وبدأت أتفحص فى هذه المشاكل التى جدت على حياتنا من دراسة العريس وظروفه ومدى ملاءمته لابنتى من النواحى الإنسانية

والأخلاقية والاجتماعية والمادية والدينية، ومن حيث الأهل الطيبين الذين أتمنى أن يحتضنوا بنتي لتسع أسرتنا ويعمها الحب والراحة علمًا بأنني ربيتها على الأخلاق والدين والأدب مع قوة الشخصية بحيث تكون تصرفاتها الملتزمة مبنية على اقتناع لا عن تقليد أو خوف، وفي نفس الفترة الزمنية بدأت صديقاتي يتعرضن لنفس مشاكل العرسان والخطوبة مع بناتهن، فصرنا نتبادل الخبرات والتجارب التي أردت أن أشارك بها معك ومن خلال بابك الرائع لإلقاء الضوء على الأسباب التي كنت شاهدة بنفسي عليها، والتي أعتقد أنها وراء العديد من حالات العنوسة لدى الشباب والشابات.

أولًا: نحن كأهل للبنات نفاجأ بمن يريد أن يخطب لمدة ٤ أو ٥ سنوات حتى تتهيأ ظروفه ويكوّن نفسه، بمعنى أنه يحجز البنت ويدخل ويخرج ويحب حتى تسمح الظروف علمًا بأن هذا يؤدي لتجاوزات أخلاقية ودينية، فبالطبع نضطر للرفض.

وأحيانًا نفاجأ باشتراطات غريبة من أم الخاطب كأن تأتي الموبيليا من مكان معين، والسجاد من نوعية محددة أو بأنها تريد العروس أن تؤجل دراستها لتسافر مع ابنها، فنرفض لأن هذه الشروط تدل على عيوب أعمق في شخصية العريس وأسرته.

والشيء الغريب الذي تكرر أن الشبان لا يتحمسون إلا لخطبة من تفوقهم اجتماعيًا وعلميًا وماديًا وربما تفوقهم كثيرًا في الوقت الذي يتمنى أهل الفتيات من تتوافر فيه شروط الكفاءة أو التقارب، وإذا وجد الشاب من تناسبه وتفرح به تعالى عليها وانصرف عنها حتى لو كانت في جمال

هيفاء، ومهما كانت أخلاقها وصفاتها، كما لاحظنا أن كل شاب يظن نفسه (لقطة) فائعروس وأهلها موافقون عليه مبدئيًّا فيطلب أن يقابلها عدة مرات ليتأكد من نفسه أو من أنه سيحبها أو ليعرف كل التفاصيل عنها وأحيانًا يطلب الشاب ذلك حتى قبل أن يشرح كل ظروفه وكأن أهل الفتاة يكفي أن يجلسوا معه ليقبلوا به دون أن يعرفوا عنه شيئًا.

أريد أن أعرف، هل بناتنا جوارٍ نعرضهن لكل من يقول: إنه يريد أن يخطب، وبهذه الذريعة نتركهن مع كل شاب ليدرسهن ويختبرهن ثم يعتذر لنا أو يتفضل بالموافقة، أليس هذا شيئًا غريبًا خاصة إذا تكرر مرات عديدة. أقسم لك أن بعض الشباب قابل عشرات الفتيات الممتازات لم يخطب بعد ولم يعد أحد يعرف ماذا يريد.

وشاب آخر أعجب بفتاة رائعة شكلًا ومضمونًا وألح على خطبتها وبمجرد موافقتها قرر أنه غير رأيه؛ لأنه اكتشف أنهما متفقان في كل شيء فخاف من الملل وأعلن أنه يريد من تخالفه.

وهناك من يعتقد أنه سيقع في حب الفتاة التي يتقدم لخطبتها من أول نظرة، وأنها ستبادله الحب بمجرد رؤيته، وطبعًا هذا لا يحدث من ناحية الفتاة بالذات؛ لأنها تكون متحفظة برغم فرحتها به فلا "تندلق" عليه من أول مرة كما يتوقع حتى تتأكد أنها تعطي حبها لمن يستحقه.

كل أم وأب يريدان أن يفرحا بابنتهما ويزوجاها، ولا مانع حتى أن يساعدا زوجها، ولكننا نريد شبابًا لبناتنا فيهم رجولة وأخلاق وجدية وتفكير سليم لا شبانًا تافهين لا يعرفون ماذا يريدون ـ نريد شبابًا يعرفون أن الزواج يبنى أولًا على الاختيار الصحيح، فيختارون الإنسانة الجميلة

روحًا وخلقًا وطبعًا، فالجمال الخارجي وحده لا يكفي. ثانيًا: لا بد للشباب أن يعرفوا أن القبول ليس معناه الانبهار، وإنما الاعجاب والاقتناع القابلان للنمو والزيادة. ثالثًا: أن يحدد كل شاب الخطوط العريضة التي يبحث عنها بوضوح ويحدد أيضًا العيوب التي لا يريدها. أما التفاصيل الصغيرة فلا يوجد في الكون اثنان يتطابقان في كل شيء أو يتفقان على كل رأي.. ونجاح الزواج هو في المرونة من كلا الطرفين والرغبة المخلصة من كليهما لإسعاد النفس وشريك الحياة، كذلك نجاح الزواج في معرفة أن كلا منهما بشر فيه المزايا والعيوب.

وعادة تنجح الخطبة وتكلل بالزواج إذا كان الاختيار في البداية المبكرة صحيحًا من كلا الطرفين والأسرتين. وللعلم لا توجد الآن بنات خانعات مستكينات، فسكوتهن ليس دليلًا على ذلك، بل ربما لدراسة هذا الشخص الذي يتكلم وعندما تطمئن البنت إلى أن هذا الشخص جاد محترم ناضج تتكلم وتعبر عن نفسها.

اخترت هذه الرسالة من بين عشرات الرسائل لأمهات يشخصن لأزمة الزواج في المجتمع، ويعكسن الأزمة التي تعانيها الأسر المصرية بسبب تأخر الزواج، ليس لأسباب اقتصادية، ولكن لعدم نضج الشباب المقبل على الزواج، ما بين السطور معان عميقة وكاشفة لا تحتاج مني إلى أي تعليق.

جريدة الأهرام ـ بريد الجمعة: ١٨/ ٤ / ٢٠٠٨